بحث أخلاقي (١)

التقليد والسير في طريق التكامل

مقتبس من الرسالة العملية
المنهاج الواضح | كتاب الاجتهاد والتقليد

لسماحة المرجع الديني الأعلى آية الله العظمى

السيد الحسني

دام ظله الوارث

إعـــداد
السيد قاسم الطيار

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾

صدق الله العلي العظيم

قال أمير المؤمنين (عليه السلام):

(العالم مصباح الله في الأرض فمن أراد الله به خيراً اقتبس منه)

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين :

والحمد لله الأول والآخر والظاهر والباطن الذي تولّهت القلوب إليه لتجري في كيفية صفاته المقدسة ، والصلاة والسلام على المعلم الأول الصادق الآمين المصطفى ، وأهل بيته الميامين خلفائه الأطهار المنتجبين النجوم الزاهرة والغرر الباهرة وسلّم تسليماً ٠

وبعد ٠٠

لاشك أن الإنسان لا يولد عالماً بكل الأمور التي تحيطه ، كالقضايا الدينية والاجتماعية وما شابه ذلك ، إذ ليس من الممكن أن يستقل الفرد بالمعرفة الكاملة ، أي ((المعرفة التفصيلية)) التي تكون جامعة لمعالم الأشياء المحيطة به ٠

لذا لابد له أن يلزم أمران ، علم وعمل فالعمل تابع للعلم ومبني عليه ، ويلزمه علم التفصيل بعد بلوغه ، أي علم الواجبات المنصوصة عليه في أمور دنياه ، كالصلاة والصوم والخمس ...الخ ٠

فقد اتسع أفق الناس في علاقتهم ، وطريقة معيشتهم ، وصنوف تعاملهم ، بينما هم يبتعدون بالتدريج عن عصر النصوص ((القرآن وسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم))) ، ولأجل ذلك كانت الضرورة ملحّة أيضا في وجوب التقليد ، وخلق فئة (الفقهاء) لإشباع الناس لهذه الحاجة المهمة ٠

والآن حيث تصدى سماحة السيد محمود الحسنى (دام ظله الشريف) ليوضّح هذا الطريق بأسلوب سلس ومعمّق في رسالته العملية (المنهاج الواضح) كتاب الاجتهاد والتقليد ، ووضع ملازمه بين

الفقة والأخلاق ، فالقدر المتيقن نرى اغلب علمائنا في الوقت الحاضر لا يشير إلى هذا الأمر بذي أهمية كبيرة ، كما نرى للأسف الشديد التناسب العكسي بين التطور العلمي وبين الأخلاق ، ففي عصر التطور العلمي نجد التخلي عن الأخلاق الفاضلة ، والتحلي بأخلاق الشيطان وأعوانه الرذيلة السيئة ٠

ولهذا السبب جعل سماحة السيد الحسني (أطال الله في بقائه) المقدمات الأخلاقية جزءاً من الرسالة العملية لإبراز أهميتها ، لتكون ملازمة للمكلف كملازمة التقليد والأحكام الشرعية المترتبة عليه ٠

لذا أرتأيت أن اقتبس من هذا المنهاج ما يفيد للمكلف من مسائل توضيحية بحتة وأخلاقية في هذا المجال ، وبدوري اذكر بعض المسائل الاستفتائية التي وجهت لسماحته في هذا الموضوع ٠

وأنا ممتثل ما رسمه سماحته ، ومجيب ما دعي إليه وآثره ، ومن الله تعالى استمد المعونة ،و إياه أسأل التوفيق .

٢٠/ ربيع الأول/١٤٢٣ هـ

العبادة وتكامل الفرد والمجتمع

النفس الباقية

الثابت عقلاً وشرعاً إن النفس المجردة باقيـــة ابـــدآ بعـــد مفارقتها للبدن ونتيجتها أما متنعمة دائمة أو معذبة دائماً ، والتذاذها وتنعّمها يتوقف على ما تحصل عليه من الكمال والسمو ، ومراحل كمالها :

١ - **من الناحية النظرية** : هي الاحاطة بحقائق الموجـــودات ثـــم الترقي منها إلى معرفة الله سبحانه وتعالى والوصول إلى مقام التوحيد الخالص ٠

٢ - **من الناحية العلمية** : هي التخلي عن الصفات الرذيلة والرديئة والتحلي بفضائل الأخلاق المرضية ثم الترقي منه إلى الإيمـــان بالغيب بصورة مطلقة وعملية وتطهير السر عمـــا ســـوى الله سبحانه وتعالى ٠

وهذا معناه إن النفس لا تكون مـــستعدة للترقـــي فـــي المقامـــات والفيوضات الإلهية ولا تصل إلى السعادة الأخروية ما لم تحـــصل لها التخلية عن الرذائل والتحلية بالفضائل فالأخلاق الرذيلة تحجب المعارف الإلهية عن النفس كما تحجب الأوساخ من ارتسام الصور على المرآة ، وقد أشار الشارع المقدس الى ذلك في أمور كثيـــرة نذكر منها:

١ـ قوله تعالى : [أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (٢٦)] إبراهيم / آية ٢٤ - ٢٦ .

٢ـ قوله تعالى : [ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) . . . وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠) . . . أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (١٦)] البقرة / آية ٢ - ١٦

ما ورد عن النبي المصطفى(صلى الله عليه وآله وسلم): ((لولا ان الشياطين يحرمون الى قلوب بني آدم لنظروا الى ملكـــوت السموات والأرض))

الإيمان غريزة طبيعية:

والمعلوم ان الإنسان آمن بالله تعالى منذ أبعد الأزمـــان ، وعبده وأخلص له وأحس بارتباط عميق به ، وهذا الإيمـــان يعبـــر عن نزعة أصيلة وغريزة طبيعية في الإنسان للتعلق بخالقه ، ويمثل وجداناً راسخاً يدرك بفطرته علاقة الإنسان بربه ومخلوقاته ولكن مع هذا فأن الإيمان كغريزة لا يكفي ولا يضمن تحقيـــق الارتبـــاط بالمعبود بصورته الصحية الصحيحة ، لان صورة وكيفية الارتباط تعتمد وترتبط بدرجة كبيرة ورئيسة مع طريقة إشباع تلك الغريـــزة الإيمانية ، ومع كيفية وأسلوب الاستفادة منها ، فالتصرف الـــسليم والصحيح في إشباعها هو الذي يكفل المصلحة النهائيـــة للإنـــسان وارتباطه بالخالق المطلق بالكيفية الصحيحة المناسبة ٠

والثابت ان أي غريزة تنمو وتتعمق إذا كان السلوك موافقاً لهـــا ، فبذور الرحمة والشفقة مثلاً ، تنمو في نفس الإنـــسان مـــن خـــلال التعاطف العملي المستمر مع الفقراء والبائسين والمظلومين ، أما لو كان السلوك مخالفاً ومضاداً للغريزة فانه يـــؤدي الـــى ضـــمورها وخنقها ، فبذور الرحمة والشفقة مثلاً ، تضمر وتموت في الإنسان من خلال التعامل والسلوك السلبي من الظلم وحب الذات ٠

وعليه فالإيمان بالله والشعور الغريزي العميق بالتطلع نحو الغيـــب والإنشداد للمعبود لا بد لها من توجيه وتـــسديد وتحديـــد الطريـــق والسلوك المناسب لإشباع هذا الشعور وتعميقه وترســـيخه ، لأنـــه

بدون التوجيه سيضمر الشعور وينتكس ويمنى بـــألوان الانحـــراف والشبهات مما يؤدي الى ارتباط غير صحيح ليس له حقيقة فاعلـــة ومنتجة في حياة الإنسان ولا يكون قادراً علـــى توجيـــه طاقاتـــه الصالحة الدينية والأخلاقية والعملية ٠

تعميق الإيمان :

لقد تصدى الشارع المقدس لتعميق ذلك الشعور والإيمـــان بجعل العبادات التي تمثل التعبير والوجه العملي والتطبيقي لغريزة الإيمان ، وقد نجحت هذه العبادات في المجال التطبيقي في تربيـــة أجيال من المؤمنين على مر التاريخ الذين جسدت عبـــادتهم مـــن صلاة وصيام وزكاة وغيرها في نفوس الارتباط العميق والصحيح بالله تعالى ، ورفض كل قوى الشر المادية والمعنوية ٠

ولتعميق وتأكيد الإيمان بدرجة أكبر جعل الشارع المقدس بعـــض النقاط والأفعال في العبادات مبهمة وغيبية بحيث لا يمكن للإنـــسان أن يعي سرها وتفسيرها تفسيراً مادياً محسوساً ، ومن الواضح أنه كلما كان عنصر الانقياد والاستسلام في العبادة اكبر ، كان أثرهـــا في تعميق الربط بين العابد وربه أقوى اما إذا كان العمل واضـــح الغرض والمصلحة في كل تفاصيله تضاءل فيه عنصر الاستـــسلام والانقياد وطغت عليه دوافع المصلحة والمنفعة .

العبادة والإنسان الصالح:

الثابت عقلاً وشرعاً إن الله سبحانه وتعالى إضافة إلى انه نصب نفسه هدفاً وغاية للمسيرة الإنسانية لكي يطـــأطئ الإنـــسان رأسه ويتذلل بين يديه من أجل تكريس ذاته المقدســـة، كـــذلك أراد

بهذه العبادة إن يبني الإنسان الصالح التكامل القادر على تجاوز ذاته والمساهمة في المسيرة الشمولية لجوانب الحياة المتنوعة حيث حرص المولى الشرعي على إن يكسب الإنسان الصلاح والتكامل وروح العبادة ويجعل ذلك ويترجمه خارجاً في كل أعماله وتصرفاته فيحولها إلى عبادات ، ومما يدل على هذا ما ورد عن النبي الأقدس محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ((إن استطعت إن لا تأكل ولا تشرب إلا لله فأفعل)).

العبادة والمجتمع:

إضافة لذلك فقد صاغ الشارع المقدس العبادة بطريقة جعلت منها في اغلب الأحيان أداة ووسيلة لعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان، والتأكيد على ان العلاقة البادية ذات دور اجتماعي في حياة الإنسان، ولا تكون ناجحة ألاحين تكون قوة فعالة في توجيه ما يواكبها من علاقات اجتماعية توجهاً صحيحاً، فالإنسان لم يخلق ولم يوجد أساسا آلا في محيط ونسيج إنساني عام ولا يحفظ كيانه ألا مع تعاليم الله سبحانه وتعالى، فجعل الإنسان مرتبطاً بالمجموعة البشرية بقوانين من التعامل والسلوك ٠

الأول: حب الآخرين، فكل مسلم بل كل إنسان مطالب بحب الآخرين وعدم حمل الحقد والضغينة في قلبه عليهم، ويلزمه إن يترجم ذلك في أحساسة وسلوكه، فيتألم لألم الآخرين ويحزن لحزنهم ويفرح لفرحهم ٠

الثاني: السعي في حوائج الآخرين، وهذا القانون يمثل الترجمة الخارجية والتطبيق العملي الواقعي لما حس وشعر به تطبيقاً للقانون الأول ٠

وقد تصدى الشارع المقدس متمثلاً بالنبي الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة المعصومين(عليهم السلام) لتطبيق قوانين السابقين حيث نجد حضورهم(صلوات الله عليهم) في الساحة الاجتماعية وإحساسهم بما يحس به المجتمع ومعرفة حاجة الناس العملية والمعنوية العبادية والأخلاقية، كان ذلك وفق ما يسمح لهم وما قدروا عليه كل بحسب ظروفه الخاصة والظروف العامة المحيطة به، ونتيجة مجموع ما أعطى المعصومون (عليهم السلام) هو الصورة الكاملة الواضحة التي تفرز المجتمع المسلم وتميزه عن المجتمعات المتوحشة الغائبة عن الإيمان والارتباط بالله تعالى والبعيدة عن الأخلاق، اذكر في هذا المقام بعض التطبيقات العبادية والأخلاقية التي صدرت من المعصومين (عليهم السلام) على المستوى العملي والنظري :

١- ما ورد عن أمير المؤمنين(**u**) وهو يصوّر أخلاق رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): ((كان أجود الناس كفاً ، وأجرأ الناس صدراً ، وأصدق الناس لهجة، وأوفاهم ذمة ، والينهم عريكة ، وأكرمهم عِشرة ، من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه فعرفه أحبه ، لم أر مثله قبله ولا بعده))٠

٢- ما ورد عن أمير المؤمنين(**u**): ((أن يهودياً كان له على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) دنانير، فتقاضاها ٠ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) له: يا يهودي ما عندي ما أعطيك

فقال اليهودي: فإني لا أفارقك يا محمد حتى تقضيني ٠

فقال(صلى الله عليه وآله وسلم): إذن أجلس معك ٠
فجلس معه حتى صلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في ذلك الموضع، الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والغداة، وكان أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يتهددونه ويتوعدونه فنظر رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) إليهم فقال: ما الذي تصنعونه به ؟
فقالوا: يا رسول الله ، يهودي يحبسك ٠
فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): لم يبعثني ربي عز وجل بأن أظلم معاهدا ولا غيره ٠
فلما علا النهار قال اليهودي : أشهد أن لا إله إلا الله واشهد آن محمدا عبده ورسوله ، وشطر مالي في سبيل الله، أما والله ما فعلت بك الذي فعلت ، إلا لأنظر إلى نعتك في التوراة، فاني قرأت في التوراة (محمد بن عبد الله مولده بمكة، ومهاجرة بطيبة، وليس بفظ ولا غليظ ، ولا سحاب ولا متزين بالفحش، ولا قول لخنا) ٠
وأنا أشهد إن لا إله إلا الله وانك رسول الله وهذا مالي فأحكم فيه بما أنزل الله))

٣- ما ورد عن الإمام الحسن العسكري(**u**): ((ورد على أمير المؤمنين(**u**) أخوان مؤمنان (أب وابن) فقام إليهما وأكرمهما وأجلسهما في صدر مجلسه وجلس بين يديهما ، ثم أمر بطعام فاحضر ، فأكلا منه ، ثم جاء قنبر بطست وإبريق خشب ومنديل ، فاخذ أمير المؤمنين(**u**) الإبريق فغسل يد الرجل بعد إن كان الرجل يمتنع من ذلك وتمرغ في التراب واقسمه أمير المؤمنين(**u**) إن يغتسل مطمئناً ، كما كان يغسل لو إن الصاب عليه قنبر ، ففعل ثم ناول

الإمام(u) الإبريق محمد بن الحنفية وقال(u): يا بني لو كان هذا الابن حضرني دون أبيه لصببت على يده ولكن الله عز وجل يأبى إن يسوي بين ابن وأبيه إذا جمعهما مكـــان ، ولكن قد صب الأب على الأب فليصب الابن على الابـــن ، فصب محمد بن الحنفية على الابن))

ثم قال الإمام العسكري(u): ((فمن أتبع علياً على ذلـــك فهو الشيعي حقاً)) .

٤- ما ورد عن الإمام الباقر(u): ((إن أكمل المـــؤمنين إيمانـــا أحسنهم خلقاً)) .

٥- ما ورد عن الإمام الصادق(u): ((ما يقدم المؤمن على الله تعالى بعمل بعد الفرائض ، أحب إلى الله تعالى من آن يسع الناس بخلقه)) .

٦- ما ورد عن الإمام الصادق(u): ((الخلـــق الحـــسن يميـــت الخطيئة كما تميت الشمس الجليد)) .

٧- ما ورد عن الإمام الصادق(u): ((إن الله تعالى ليعطي العبد من الثواب على حسن الخلق كما يعطي المجاهد في ســـبيل الله، يغدو عليه ويروح)) .

٨- ما ورد عن صادق آل محمد(u): ((إن سوء الخلق ليفـــسد العمل كما يفسد الخل العسل)) .

٩- ما ورد عن النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم): ((علـــيكم بحسن الخلق فان حسن الخلق في الجنة لا محالة ، وإيـــاكم وسوء الخلق ، فان سوء الخلق في النار لا محالة)) .

١٠- ما ورد عن المصطفى الصادق الأمين(صلى الله عليه وآلـــه وسلم): ((أبى الله لصاحب الخلق السيئ بالتوبة)) .

قيل: فكيف ذلك يا رسول الله ٠

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): ((لأنه إذا تاب من ذنب وقع في ذنب أعظم منه)) .

وهكذا الكثير من المواقف والأقوال الصادرة من الشارع المقدس والتي تحدد مسار العمل ألعبادي الصحيح والمتكامل لخدمة الفرد والمجتمع ولتهيئة النفس ووصولها إلى مرحلة الاستعداد للترقي في مقامات الفيوضات الإلهية للوصول إلى السعادة الأخروية بعد التخلي عن الصفات والأخلاق الرذيلة ، والتحلي بالصفات والأخلاق الفاضلة المرضية ، وسنشير إلى بعض تلك المسارات عند التعرض لبعض التطبيقات العبادية ، إن شاء الله تعالى ٠

تربية النفس والسير في طريق التكامل والرقي:

لتربية النفس الإنسانية وتحفيزها نحو الرقي والكمال والسير الصالح بالصورة المنهجية العملية الصحيحة تحتاج أولاً وبصورة رئيسة إلى الإيمان بالله تعالى والاعتقاد بالمعاد والآخرة ، وبعد إن يتحقق هذا الإيمان تكون النفس مستعدة للتربية والرقي وحينئذ تحتاج إلى الأسباب والمحفزات للسير في طريق التكامل والرقي، وفي هذا المقام نذكر بإيجاز بعض المحفزات :-

المحفز الأول : الهدف الأسمى :

ينبغي على الإنسان المسلم اختيار الهدف المهم والأوسع والأسمى ؛ لأنه كلما كان الهدف ضيقاً وخفيفاً كان اقرب إلى التلاشي في ذهن صاحبه، مما يؤدي إلى فتح باب واسع للتكالب والتزاحم للأمور التافهة وبالتالي الدخول في المحرمات الأخلاقية الشرعية .

وكلما كان الهدف أهم واسمى ، قلّت فيه الأخطاء والقبائح بسبب ما يحصل في ذهنه من المقارنة بين هدفه المهم المنشود وبين الشهوات التافهة الرديئة فيلتفت إلى تفاهتها بالقياس إلى ذلك الهدف مما يؤدي إلى نظافة وسعة روحية الإنسان ، فكيف إذا كان هدفه رضا الله سبحانه وتعالى الذي لا تتناهى عظمته ولا تنقطع قدرته ولا تنتهي نعمه ، وكلما اقترب الإنسان من هذا الهدف اشتدت رغبته إليه وأحس بعمق أغواره وبعد منتهاه ، وكان ذلك منعشاً لأماله ومؤثرا في اقتراب الإنسان نحو الصلاح والتكامل ، ويكون مثله الأشخاص الذين قال فيهم أمير المؤمنين(**u**) في وصف المتقين: ((كبر الخالق في أنفسهم ، فصغر ما دونه في أعينهم)) .
وورد عن الإمام علي(**u**): ((كان لي فيما مضى أخ في الله ، وكان يعظمه في عيني صغر الدنيا في عينه ، وكان خارجاً من سلطان بطنه فلا يشتهي ما لا يجد ولا يكثر إذا وجد)) .

المحفز الثاني : الهم الكبير:

لتربية النفس يحتاج الإنسان المسلم إن يحمل هما كبيراً متمثلا في أمور المسلمين جميعاً ، ومن الواضح إن حمل مثل هذا الهم ينمّي من أخلاقيات الإنسان ويوسع من الأفاق التي يخلق فيها الإنسان ويؤثر في تنمية الروح ، وبخلاف ذلك أي فيما إذا صغرت الأمور التي ينشغل بها فأن مثل هذا يؤدي إلى ضيق أفق الإنسان ووقوعه في التناقضات والنزاعات التافهة وبالتالي الوقوع في المحرمات الشرعية الأخلاقية .
وقد أشار أهل البيت(عليهم السلام) إلى ذلك في موارد عديدة نذكر منها:-

١- ما ورد عن أمير المؤمنين(**u**): ((من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهواته)) .

٢- وورد عنه(**u**): ((رأيك لا يتسع لكل شيء ففزعه للمهم من أمورك)) .

٣- ما ورد عن الإمام الصادق(**u**): ((باشر كبار أمورك وكل ما شق منها إلى غيرك)) .

٤- ما ورد عن الإمام الصادق(**u**): ((لا تكونن دواراً في الأسواق ولا تلي دقائق الأشياء بنفسك فانه لا ينبغي للمرء المسلم ذي الحسب والجود إن يلي شراء دقائق الأشياء بنفسه٠٠)) .

المحفز الثالث: الإيثار والتضحية

من الواضح إن الإنسان الذي يعمل في سبيل الله تعالى ويؤثر ويضحي بمصالحه الشخصية في سبيل راحة الآخرين والمصالح الاجتماعية ، فبقدر ذلك تنمو روحه وتتسع أفاقه حتى يصل إلى التكامل الأخلاقي ، وذلك لأنه من الأسباب الرئيسة في المشاكل الأخلاقية هو التضارب والتزاحم بين المصالح الشخصية والمصالح الاجتماعية ، وان حب ألذات هو الذي يدفع الإنسان إلى إن يقدم مصالحه الشخصية على المصالح الأخرى حتى لو كان ذلك ظلماً وعدوانا على الآخرين .

وللحصول على السعادتين الدنيوية والأخروية يجب على الإنسان إن يجعل إيثاره وتضحيته للناس والمجتمع في سبيل الله تعالى أي عليه إن يقدم المصالح الإلهية على المصالح الدنيوية الزائلة . واذكر بعض إرشادات أهل البيت(عليهم السلام) في الإيثار والتضحية :-

١- قوله تعالى : [. . . وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ . . .] الحشر/آية ٩ .

٢- قوله تعالى : [وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً(٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً(٩)] الدهر/ آية ٨-٩ .

٣- قوله تعالى : [إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ . . .] سورة التوبة/آية ١١١ .

٤- ما ورد عن النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم): ((طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود لم يره)) .

٥- ما ورد عن الصادق الأمين(**u**): ((من عرض لـه دنيا وآخرة ، فأختار الدنيا لقي الله عز وجل يوم القيامة وليست له حسنة يتقي بها النار ، ومن اختار الآخرة وترك الدنيا رضي الله عنه وغفر له مساوئ عمله))

٦- ما ورد عن الإمام الباقر(**u**): ((ان لله جنه لا يدخلها إلا ثلاثة: رجل حكم على نفسه بالحق ، ورجل زار أخاه المؤمن في الله ، ورجل آثر أخاه المؤمن في الله)) .

المحفز الرابع :محاسبة النفس ومعاقبتها

ان الإنسان له أهواء وشهوات وغرائز تدفعه الى الانحراف عن الإسلام والأخلاق في جوانب شخصيته دون ان يشعر ، وغالبا ما يكون الانحراف قليلا في أول الأمر ثم يزداد ويتسع حتى يصل الى الانحراف الكامل ، فعليه ان يتدارك الأمر من البداية ويعالجه ويقضي على الانحراف من أساسه ، وبالتأكيد ان ذلك لا يحصل إلا بمحاسبة النفس ،

ويمكن طرح عدة مستويات لمحاسبة النفس :

المستوى الأول : الإيحاء للنفس بالخير وحثها عليه وعلى الاخلاص في النية ، وحثها على ترك الشر وتحذيرها منه ، ويكون ذلك قبل صدور الخير والشر من النفس ، وقد أشار الشارع المقدس الى هذا المستوى من المحاسبة في عدة موارد منها :

١- قوله تعالى : [وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠)] سورة الشمس/آية ٧-١٠ .

٢- ما ورد عن الإمام الصادق(u): ((ان رجلا أتى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) فقال له: يا رسول الله أوصيني.. فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): فاني أوصيك ، إذا انت هممت بأمر فتدبر عاقبته ، فأن يك رشدا فأمضه ، وان يك غيا فأنته عنه)) .

٣- ما ورد عن الإمام الكاظم(u): ((قال أمير المؤمنين(u) ان رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) بعث سرية ، فلما

رجعوا قال(صلى الله عليه وآله وسلم): مرحبا بقوم قضوا الجهاد الأصغر ، وبقي عليهم الجهاد الأكبر .
قيل: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر ؟
قال(صلى الله عليه وآله وسلم): جهاد النفس .
ثم قال(صلى الله عليه وآله وسلم): افضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه)) .

٤- ما ورد عن أمير المؤمنين(**u**): ((ما من يوم يمر على ابن آدم ، إلا قال له ذلك اليوم : انا يوم جديد ، وانا عليك شهيد ، فقل فيه خيرا ، واعمل فيه خيرا ، اشهد لك يوم القيامة فانك لن تراني بعد هذا أبدا)) .

المستوى الثاني : يتأمل الإنسان ويدقق بما صدر عنه فيلوم نفسه على أخطائه وزلاته ويحزن ويندم لذلك ويتوب ويعاهد الله على عدم تكرار ذلك ، وبخلاف هذا المستوى سيجد نفسه في طغيان وغفلة ساحقة ومهلكة ، وقد حث الشارع المقدس على هذا المستوى من المحاسبة كما في :

١- ما ورد عن الإمام الصادق(**u**): ((...حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا عليها ، فأن للقيامة خمسين موقفا ، كل موقف مقام ألف سنة . (ثم تلا) (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة))) .

٢- ما ورد عن الإمام الكاظم(**u**): ((ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم ، فان عمل حسنة استزاد الله تعالى ، وان عمل سيئة استغفر الله تعالى منها وتاب إليه)) .

المستوى الثالث : على الإنسان أن يتناول شخصيته من جميع الجوانب والتفكر في نقاط الضعف والقوة ، والمقارنة والموازنة بينما هو واصل اليه فعلا من مستوى الرقي الأخلاقي والمعنوي وبينما كان عليه في مرحلة سابقة كي يعرف درجة تقدمه نحو الرقي للازدياد من ذلك ، وقد أشار أهل البيت(عليهم السلام) الى ذلك :

١- عن أمير المؤمنين(**u**): ((انما الدنيا ثلاثة أيام : يوم مضى بما فيه فليس بعائد ، ويوم أنت فيه فحق عليك اغتنامه ، ويوم لا تدري انت من أهله ولعلك راحل فيه . أما اليوم الماضي فحكيم مؤدب ، وأما اليوم الذي انت فيه فصديق مودع ، وأما غد فإنما في يدك منه الأمل)) .

٢- عن أمير المؤمنين(**u**): ((أيها الناس لا خير في دين لا تفقّه فيه ولا خير في دنيا لا تدبّر فيها ولا خير في نسك لا ورع فيه)) .

٣- عن أمير المؤمنين(**u**): ((لا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين: رجل يزداد كل يوم أحساناً ، ورجل يتدارك منيته بالتوبة...)) .

المستوى الرابع : أن يتناول الإنسان شخصيته ودرجة إيمانها وأخلاقها ويقارنها مع المثل الأعلى للإيمان والأخلاق كي يعرف الدرجة التي وصل اليها فعلاً ويحث نفسه للوصول الى درجة أعلى وأرقى، ولكي لا يتخيل لنفسه درجة ومنزلة لم يصلها فيصيبه الغرور والكبر ، وقد ارشد الشارع المقدس الى العديد من الدرجات والمستويات الإيمانية والأخلاقية .

ما ورد في خطبة أمير المؤمنين(**u**) في وصف المتقين: ((فمن علامة أحدهم انك ترى له قوة في دين ، وحزما في لين وأيمانا في يقين وحرصا في علم وعلما في حلم ، وقصدا في غنى ، وخشوعا في عبادة ، وتجملا في فاقه، وصبرا في شدة ، وطلبا في حلال ، ونشاطا في هدى ، وتحرجا عن طمع ، يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل ، يمسي وهمه الشكر ، ويصبح وهمه الذكر ، يبيت حذرا ويصبح حذرا ، حذرا من الغفلة ، وفرحا بما أصاب من الفضل والرحمة ، أن استصعبت عليه نفسه فيما تكره لم يعطها سؤلها فيما تحب ، قرة عينه فيما لا يزول ، وزهادته فيما لا يبقى ، يمزج الحلم بالعلم ، والقول بالعمل ، تراه قريبا أمله ، قليلا زللهُ ، خاشعا قلبه ، قانعا نفسه ، منذورا أكله ، سهلا أمره ، حريزا دينه ، ميتة شهوته مكظوما غيظه ، الخير منه مأمول ، الشر منه مأمون)) .

المستوى الخامس: بعد أن يثبت تقصير النفس وتكرره في المستويات السابقة أو بعضها ، فلا يقتصر الإنسان على لومها فقط بل عليه أن يتبنى أسلوب العقاب معها وذلك بان يحملها أعمالا شاقة سواء أكانت الأعمال ليست حسنة بذاتها بل تكون حسنة ومرغوبة شرعا لأنها تؤدي الى تهذيب النفس وتنقيتها كتعريض الجسد لحرارة الشمس أو حرارة الأرض أو حرارة النار ، أم كانت الأعمال حسنة ومرغوبة شرعاً بذاتها كالصلاة والصيام والتصدق وغيرها وقد أشار أهل البيت (عليهم السلام) الى ذلك في عدة أمور منها :

١- ما ورد عن ليث بن أبي مسلم قال: ((... بينما رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) مستظل بظل شجرة في يوم شديد الحر ، إذ جاء رجل فنزع ثيابه، ثم جعل يتمرغ في

الرمضاء ، يكوي ظهره مرة ، وبطنه مرة ، وجبهته مرة ، ويقول يا نفس ذوقي ، فما عند الله أعظم مما صنعت بك ، ورسول الله(صلى الله عليه وآله سلم) ينظر اليه ما يصنع ثم ان الرجل لبس ثيابه ثم أقبل ثم أومأ اليه النبي (صلى الله عليه آله وسلم) بيده ودعاه فقال(صلى الله عليه وآله وسلم) له: ((يا عبد الله ، رأيتك صنعت شيئا ما رأيت أحدا من الناس صنعه ، فما حملك على ما صنعت ؟))

فقال الرجل: حملني على ذلك مخافة الله ، فقلت لنفسي ، يا نفس ذوقي فما عند الله أعظم مما صنعت بك .

فقال النبي(صلى الله عليه آله وسلم) له: ((لقد خفت ربك حقك مخافته ، وأن ربك ليباهي بك آهل السماء)) ثم قال: ((يا معشر من حضر ، أدنو من صاحبكم حتى يدعوا لكم)) فدنوا منه ، فدعا لهم وقال: اللهم أجمع شملنا على الهدى وأجعل التقوى زادنا والجنة مآبنا)) .

٢- ما ورد في نهج البلاغة ، انه في محضر أمير المؤمنين(**u**) ، قال أحد المسلمين: أستغفر الله .

أولها: الندم على ما مضى

والثاني: العزم على ترك العودة إليه أبداً

والثالث: أن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقي الله عز وجل أملس ليس عليك تبعة .

والرابع: أن تعمد الى كل فريضة عليك ضيعتها فتؤدي حقها.

والخامس: أن تعمد الى اللحم الذي نبت من السحت فتذيبه بالأحزان حتى تلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد .

والسادس: أن تـــذيـــق الجسم ألم الطاعة . كما أذقته حلاوة المعصية ، فعند ذلك تقول (استغفر الله))).

المحفز الخامس: العلم

لا خلاف في أن العلم هو المحفز الرئيسي بل المقوم للعمل لبنـــاء الشخصية وتربيتها والحصول على التكامل الأخلاقـــي والمعنـــوي ونيل سعادة الدنيا والآخرة أما الجاهل فبجهله يفقد إنسانيته ويصبح في عداد الأموات فلا كلام في تكامله وسعادته وقد ثبت ذلك عـــن طريق العديد من الموارد الشرعية نذكر منها :

١- ما ورد عن الإمام الـــصادق(**u**): { لا يقبـــل الله عمـــلا إلا بمعرفة ، ومعرفة إلا بعمل ، فمن عرف دلت المعرفة على العمل ، ومن لم يعمل فلا معرفة له ، ألا إن الإيمان بعضه من بعض }.

٢- ما ورد عن صادق آل البيت(عليهم السلام): { من تعلم العلـــم وعمل به وعلّم لله ، دعي في ملكوت الـــسموات عظيمـــا ، فقيل: تعلّم لله وعمل لله وعلّم لله }.

٣- ما ورد عن أمير المؤمنين(**u**): { أن هذا العلم والأدب زيـــن نفسك ، فأجتهد في تعلمهما ، فما يزيد من علمك وأدبك يزيد من ثمنك وقدراتك ، فأنك بالعلم تهتدي إلى ربك ، وبالأدب تحسن خدمة ربك ، وبأدب الخدمة يستوجب العبد ولايتـــه وقربه } .

٤- ورد انه عندما سئل رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) عن علامة الجاهل ، قال(صلى الله عليـــه وآلـــه وســـلم):{ إن صحبته عناك ، أن اعتزلته شتمك ، وأن أعطاك منّ عليك ، وأن أعطيته كفّرك ، وأن أسررت اليه خانـــك ، وان أســـرّ

إليك إتهمك ، وان إستغنى بطر وكان فظاً غليظاً ، وأن أفتقر جحد نعمة الله ولم يتحرج ، وإن فرح أسرف وطغى وإن حزن آيس ، وإن ضحك نهق ، وإن بكى خار ، يقع في الأبرار ، ولا يحب الله ، ولا يراقب الله ، ولا يستحي من الله ، ولا يذكره ، إن أرضيته مدحك وقال فيك من الحسنة ما ليس فيك ، وإن سخط عليك ذهبت مدحته ووقع فيك من السوء ما ليس فيك } .

المحفز السادس : التدرج في الرقي والكمال

الإنسان الذي يريد أن يسير في طريق الكمال الروحي والأخلاقي وتربية النفس ، عليه أن يجعل لنفسه مستويات متدرجة للرقي حتى الوصول إلى الغاية القصوى والهدف الأسمى ، لأنه مع عدم التدرج والاقتصار على الغاية القصوى غالبا ما يؤدي إلى الإحساس بالتعب والشعور باليأس والعجز عن السير والتكامل ، ولعلاج هذه الحالة المرضية عليه أن يتخذ لنفسه عدة مستويات وغايات يسعى ويعمل للوصول إلى المستوى الأول القريب وحينما يصل إليه يشحذ همته ويضاعف جهده وسعيه للوصول إلى المستوى الثاني وهكذا حتى الوصول إلى المستوى الأعلى النهائي ، فالإنسان العاصي الفاسق إذا عجز عن الوصول إلى مستوى العدالة والتكامل المعنوي والأخلاقي ، فلا يترك طريق الحق ويرضخ وينقاد لخط الباطل والرذيلة، بل عليه إن يضع لنفسه مستويات متعددة من الرقي، فمثلا في المستوى الأول عليه إن يهتم ويسعى للتعود على ترك الكبائر فيعمل في سبيل تنمية وتصفية خاطره في سبيل الترقي والوصول إلى مستوى يمتنع فيه عن الكبائر ، وبعد ذلك يضاعف جهده وسعيه للوصول إلى المستوى الثاني بأن يترك الصغائر

فيعمل إلى إن يعوّد نفسه على ترك الصغائر ، وهكذا يضع لنفسه مستويات أخرى إلى آن يتقرب شيئا فشيئا من حالة ملكة العدالة ويزداد ترقيه حتى يصل إلى مستوى امتلاك ملكة العدالة ، وهكذا بإمكانه أن يرتقي إلى مستويات أعلى دون مستوى ومرتبة العصمة .

المحفز السابع : المثل الأعلى

إن الجانب الحسي عند الإنسان دائما أو غالبا يترجح على الجانب العقلي ، ولذلك نلاحظ أن القضايا المحسوسة أكثر تأثيرا في نفوس البشر وأسهل عليهم للتفاعل معها ، ومما يدل أو يؤيد هذا الطرح إضافة إلى الوجدان ، ما نراه من بعثة الرسل من البشر ولم يجعلهم المولى الحق من الملائكة ، وقد ورد في كتاب الله العزيز ما يشير إلى هذا ، كما في

قوله تعالى : [وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَسُولاً] الإسراء /آية ٩٤ .

[قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَسُولاً] الإسراء /آية ٩٥ .

[وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ (٩)] الأنعام/آية ٩ .

وينبغي على الإنسان أن يجعل لنفسه أكثر من مثل أعلى ، أحدهما يكمل الأخر في المساهمة في رقي الإنسان وتكامله ، على إن يكون أحدهما معصوماً ، أي يجعل له مثلين مناسبين والأفضل إن يكونا :

الأول: المثل الأعلى المعصوم: وتمثل بالنبي الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة المعصومين(عليهم السلام) ، وليعلم الإنسان انه لا يستطيع الوصول إلى هذا المثل الأعلى المعصوم ، ومثل هذا الإحساس يجب أن لا يسبب عنده اليأس والعجز بل عليه آن يجعل جهده وسعيه من اجل الاقتراب منه قدر الإمكان ، وقد أشار أهل البيت(عليهم السلام) إلى هذا المعنى ، كما ورد عن أمير المؤمنين(**u**): { ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك ، ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وثبات } . ومما دلّ على جعل المعصوم مثل أعلى :

١- قوله تعالى : [لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ . . .] الأحزاب/آية ٢١

٢- قوله تعالى : [قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ . .] الممتحنة/آية٤

٣- عن أمير المؤمنين(**u**) قال: (...أأقنع من نفسي بأن يقال لي أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش...)

الثاني: المثل الأعلى غير المعصوم : ويفترض في هذا المثل الأعلى أن يكون بدرجات عالية من الكمال والصفاء الروحي من اجل أن يكون مؤثرا وجاذبا في الإنسان المقتدي به ، ويمكن القول أن الأفضل والأنسب جعل المجتهد الفقيه مرجع التقليد هو المثل في هذا المستوى . ومن هذا كله أتت فكرة المثل الأعلى القدوة المتمثل بالنبي الأكرم والأئمة المعصومين(صلوات الله عليم أجمعين) حيث ألبسهم الله تعالى ثوب العصمة واتصفوا بالكمالات الروحية والأخلاق الفاضلة ، وتحملوا ثقل المسؤولية وأهميتها والتزموا بها فأصبح كل منهم مثل وقدوة وقائد أعلى للمسلمين وللبشرية جمعاء في كل زمان ومكان إلى يوم الدين .

ومن هنا أيضا انتزعت فكرة ولاية الفقيه للحفاظ على المجتمعات والصفات الإنسانية والوصول بالناس إلى الكمالات والسعادة الدنيوية والأخروية لأن الإنسان غالبا يجعل المجتهد الفقيه خاصة مرجع التقليد قدوة وقائد يقتدي به ويمتثل أوامره وهذا ناتج من أمر الشارع المقدس وحثه على إتباع المجتهد والولي الفقيه والإقتداء به وجعله إماما وقائدا للمجتمع ويشترط فيه أن يكون متصفا بالكمالات الروحية والمعنوية والأخلاقية من مخالفة الهوى وإطاعة آمر المولى وغيرها وهذا معناه أن مبدأي الاجتهاد والتقليد ومبدأ الولاية العامة هي من الأساليب والطرق التي سنّها الشارع المقدس لتربية النفس والرقي فيها نحو التكامل المعنوي والأخلاقي إضافة إلى تكامل وتكافل المجتمع ورقيه . ومما دل على هذا المثل والقدوة غير المعصوم .

ما ورد عن أمير المؤمنين(**u**) قال لمحمد بن أبي بكر: (...وأصلح رعيتك وخض الغمرات إلى الحق ولا تخف في الله لومة لائم وأقم وجهك وأنصح للمرء المسلم إذا استشارك واجعل

نفسك أسوة لقريب المسلمين وبعيدهم وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر...) .

وفي نفس الوقت نهى الشارع المقدس عن الإقتداء بأهل الشر والبدع من أهل الدنيا ، كما ورد :

١- عن النبي المصطفى(صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يصف ما يصل إليه حال الناس ، حيث قال(صلى الله عليه وآله وسلم): (...ورأيت الناس مع من غلب ، ورأيت طالب الحلال يذم ويعيّر ، وطالب الحرام يمدح ويعظّم ،... ورأيت الناس ينظر بعضهم إلى بعض ويقتدون بأهل الشرور ،... ورأيت مسلك الخير وطريقه خالياً لا يسلكه أحد ،.... ورأيت الخلق والمجالس لا يتابعون إلى الأغنياء...) .

٢- عن أمير المؤمنين(**u**): (من مشى إلى صاحب بدعه فوقّره فقد سعى في هدم الإسلام) .

٣- عن الإمام الباقر(**u**): (يكون في أخر الزمان قوم يتبع فيهم قوم يراءون... ولو أضرت الصلاة بسائر ما يعملون ، بأموالهم وأبدانهم ، لرفضوها كما رفضوا أسمى الفرائض وأشرفها) .

التقليد

التقليد في اللغة : هو من القلادة في العنق ، وإذا قيل (قلّده العمل) أي معناه (فوّضه إليه) .

التقليد والإتباع في القرآن الكريم:

وردت طائفتان من الآيات الشريفة تشير إلى التقليد والأتباع:

الطائفة الأولى: وفيها الأتباع العلمي والشرعي ، حيث أشارت الآيات إلى إتباع الدليل العلمي العقلي وأتباع من يملك ويتمسك بهذا الدليل قولا وفعلا ، ومن تلك الآيات :

١ - قوله تعالى : [وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢١٦)] الشعراء/آية ٢١٥ - ٢١٦

٢ - قوله تعالى : [رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١٩٣)] آل عمران/آية ١٩٣

٣- قوله تعالى : [قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٥)] يونس /آية ٣٥

٤- قوله تعالى : [. . . وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ . . .] البقرة/آية ١٤٣.

٥- قوله تعالى : [وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا (١٢٥)] النساء /آية ١٢٥.

الطائفة الثانية: الاتباع الباطل للجهل والهوى :

وهو الاتباع المذموم عقلا وشرعا لأن منشأه التعصب والهوى والجهل ، كما ورد في عدة آيات الإشارة إلى ذلك :

١ - قوله تعالى : [وَإِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَيْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَوَلَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ (١٧٠)] البقرة / آية ١٧٠ .

٢ - قوله تعالى : [وَتِلْكَ عادٌ جَحَدُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (٥٩)] هود / آية ٥٩ .

٣ - قوله تعالى : [وَقالَ الشَّيْطانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَما كانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ . . .] إبراهيم / آية ٢٢ .

٤ - قوله تعالى : [فَلِذلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ . . .] الشورى / آية ١٥ .

٥- قوله تعالى : [وَلَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بِها وَلكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَواهُ ...] الأعراف/آية ١٧٦.

٦- قوله تعالى : [وَإِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَيْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَوَلَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ (١٠٤)] المائدة/١٠٤.

٧- قوله تعالى : [... قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (١٤٨)] الأنعام/آية ١٤٨.

٨- قوله تعالى : [سَأَصْرِفُ عَنْ آياتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِها وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَكانُوا عَنْها غافِلِينَ (١٤٦) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَلِقاءِ الآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا ما كانُوا يَعْمَلُونَ (١٤٧)] الأعراف/آية ١٤٦-١٤٧.

٩- قوله تعالى : [وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (١١٥)] النساء /آية ١١٥.

١٠- قوله تعالى : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ . . .] النور /آية ٢١ .

التقليد عند أهل السنة

والكلام على نحو الاختصار في عدة نقاط :

النقطة الاولى : تعريف التقليد

١- عن المستصفى للغزالي ، الجزء الثالث : إن التقليد هو قبول قول بلا حجة .

٢- وعن السبكي الشافعي في حاشية العطار على جمع الجوامع ، الجزء الثاني : إن التقليد اخذ قول الغير من غير معرفة دليل .

٣- عن العضدي والآمدي في أحكام الاحكام ، الجزء الرابع ، وكذلك عن ابن الهمام في تيسير التحرير ، الجزء الرابع : التقليد هو عمل بقول الغير من غير حجة ملزمة أو معلومة أو اعتماداً على رأي الغير أو استناداً الى قول الغير .

النقطة الثانية : عدم جواز تقليد غير مجتهد

نقل الشوكاني في ارشاد الفحول ، عن كثير من مذاهب العامة القول : تحريم التقليد لمن لم تتوفر فيه الشروط المطلوبة في المجتهد .

النقطة الثالثة : وجوب تقليد المجتهد

في وجوب التقليد ورجوع المكلف العامي الى المجتهد ، قال الشوكاني في ارشاد الفحول : وبهذا قال الكثير من اتباع الائمة الأربعة .

وورد في الوسيط في اصول الفقة: انه قول كثير من اتباع الائمة وانه اختار هذا كثير من المحققين .

النقطة الرابعة : ابن الصلاح وحصر التقليد في المذاهب الأربعة

ورد في تيسير التحرير ، الجزء الرابع: إن ابن الصلاح منع تقليد غير المذاهب الأربعة ، معللا ذلك بانضباط المذاهب الأربعة ، وتقييد مسائلهم ، وتخصيص عمومها .

النقطة الخامسة : تخيير المكلف في تقليد من يشاء من العلماء وإبطال رأي ابن الصلاح

١ - لقد ناقش العلامة المراغي ما ذهب اليه ابن الصلاح من حصر التقليد بالمذاهب الأربعة ، حيث ورد في تيسير التحرير ، الجزء الرابع عن المراغي: كان المسلمون مجتمعين على جواز تقليد أي عالم من علماء المسلمين ، فجاء الإمام ونقل أجماع المحققين على منع تقليد أعيان الصحابة لأنه ليس في وسع العامي إن يعرف غرضهم وان يفهم مقصودهم ، ثم رتب ابن الصلاح على هذا وجوب تقليد الائمة الأربعة دون سواهم ، وبذلك نسخ حكم الإباحة الذي كان مستفاداً من إجماع المسلمين .... .

٢ - ورد في تيسير التحرير ، الجزء الثاني:

أ - انعقد الإجماع على من اسلم فله إن يقلد من شاء من العلماء من غير حجر .

ب - اجمع الصحابة على من أستفتى أبا بكر وعمر ، أو قلدهما ، فله إن يستفتي أبا هريرة ومعاذ بن جبل وغيرهما ، ويعمل بقوله من غير نكير .

فمن ادعى خلاف هذين الإجماعين فعليه الدليل .

٣- ورد في حاشية العطار على جمع الجوامع / الجزء الثاني: إن الرازي حاول المنع من تقليد الموتى حيث قال: لا بقاء لقول الميت بدليل انعقاد الإجماع بعد موت المخالف ٠ وفي ارشاد الفحول نقل الشوكاني نفس المعنى عن الرازي ايضاً٠

٤- ورد في ارشاد الفحول ، نقل الشوكاني عن الغزالي دعواه: الإجماع من أهل الاصول على المنع من تقليد الموتى ، وعلل ذلك بان الميت ليس من أهل المجتهد كمن تجدد فسقه بعد عدالته فإنه لا يبقى حكم عدالته ، واما لان قوله وصف له وبقاء الوصف بعد زوال الأصل محال ٠ ورد نفس المعنى عن الغزالي في كتاب المنخول .

التقليد عند الشيعة

التقليد المصطلح

التقليد : هو تفويض المقلد أعماله الى المجتهد ، فيجعل أعمالـــه قلادة وشّح بها عنق المجتهد ، وقد ورد في عدة أقوال:

١ - قبول قول الغير .
٢ - قبول قول الغير مع الالتزام بالعمل على طبقه .
٣ - العمل بقول الغير .
٤ - الاستناد الى قول الغير في مقام العمل .
٥ - العمل بقول الغير أو العزم والالتزام بالعمل طبـــق قـــول المجتهد .

وجوب التقليد على العامي

المكلف الذي لم يصل الى رتبة الاجتهاد يجـــب عليـــه التقليـــد ، واطرح في المقام عدداً من الادلة والمؤيدات بـــصورة مـــوجزة ومبسطة ، بعضها بصياغات متعددة تصلح كـــدليل بمفردهـــا أو بانضمامها ، دون التعرض للمناقشة :

١ـ قوله تعالى : [وَمَا أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ(٧)] الأنبياء /آية ٧ .

٢- قوله تعالى : [وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١٢٢)] براءة/ آية ١٢٢ .

٣ - الوجوب المقدمي العقلي :

العقل يحكم بلزوم حق الطاعة فيلزم المكلف بالخروج عن عهدة تكاليف الواقعية الشرعية المعلومة بالإجمال ، وعليه فالعقل يحكم بوجوب التقليد بالوجوب المقدمي ، وذلك لان الطريق الموصل للعامي الى امتثال الاحكام الشرعية إذا توقف الواجب على التقليد صار واجبا مقدمياً .

٤ - الوجوب المقدمي الشرعي :

نفس التقريب السابق مع اضافة مقدمة اخرى وهي الملازمة بين حكم العقل وحكم الشرع أي إن ما حكم به العقل حكم به الشرع فينتج ، وجوب التقليد بالوجوب المقدمي الشرعي .

٥ - العقل ووجوب دفع الضرر :

ان العقل يحكم دفع الضرر المحتمل الناتج من إهمال امتثال الاحكام الشرعية المنجزة بالعلم الإجمالي ، المكلف العامي حسب الفرض ليس أمامه إلا التقليد للوصول الى ما يؤمّنه من العقاب .

٦ - الفطرة ووجوب دفع الضرر:

الفطرة الإنسانية تحكم بوجوب دفع الضرر المحتمل ، فالغريزة الإنسانية من حب النفس تدفع الإنسان الى تجنب كل ما يحيط بالنفس من أخطار وهلكات ، وحيث لا يوجد أمام المكلف العامي حسب الفرض إلا التقليد لدفع الضرر وإنقاذ نفسه .

٧ - الإجماع:

حيث يقال بانعقاد إجماع الفقهاء على الحكم بوجوب التقليد على المكلف للوصول الى الاحكام الفرعية ، اما مخالفة الإخباريين فلا يعتد بها لان مبناهم لا يختلف في الجوهر عما يطرحه الاصوليين بل إن الاختلاف بالاصطلاح فقط ، فالسيرة العملية عند الإخباريين هو العمل طبق مبدأي الاجتهاد والتقليد حيث يرجع المكلف العامي من الإخباريين الى العالم منهم .

٨ - سيرة المتشرعة:

من الواضح إن سيرة المتشرعة من المؤمنين والمسلمين منذ عصر الأئمة(عليهم السلام) الى يومنا هذا على اتباع مبدأي الاجتهاد والتقليد ، وسيأتي ذكر كثير من الاخبار الدالة أو المؤيدة لثبوت هذه السيرة المتشرعة .

٩ - روايات وجوب التقليد:

الاخبار التي تشير الى وجوب التقليد على المكلف ، منها ما ورد عن الإمام العسكري(**u**): (فإما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه فللعوام إن يقلدوه)) .

١٠ - روايات إرجاع الشيعة لرواة الأحاديث:

الاخبار التي تشير الى إرجاع الشيعة لرواة الأحاديث منها :

أ- ما ورد عن الإمام صاحب الزمان(**u**): ((واما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها الى رواة حديثنا)) .

ب- ما ورد عن الإمام الصادق(**u**): ((إذا أردت حديثنا فعليك بهذا الجالس ، وأومأ الى رجل ، فسألت أصحابنا فقالوا: زرارة بن أعين))

١١ - روايات وجوب مراجعة العلماء :

الاخبار المشيرة الى رجوع والإطاعة لأشخاص معيّنين :

أ- رواية احمد بن اسحاق عن الإمام الهادي(**u**): ((سألته وقلت من أعامل وعمن آخذ معالم ديني وقول من اقبل ؟)) .

فقال(**u**): ((العُمري ثقتي فما أدى اليك فعني يؤدي ، وما قال لك فعني يقول ، فاستمع له وأطع فأنه الثقة المأمون)) .

قال (الراوي): فسألت أبا محمد الحسن بن علي(**u**) عن مثل ذلك .

فقال(**u**): ((العُمري وابنه ثقتان فما أديا اليك فعني يؤديان وما قالا لك فعني يقولان فاسمع لهما وأطعهما فانهما الثقتان المأمونان)) .

ب- ما ورد عن عبد العزيز المهتدي والحسن بن علي بن يقطين جميعاً عن الإمام الرضا(**u**) قال: قلت ، لا اصل اليك أسألك عن كل ما احتاج اليك من معالم

ديني ، أفيونس بن عبد الرحمن ثقة آخذ عنه ما احتاج اليه من معالم ديني ، فقال (**u**) : ((نعم)) .

١٢ - المعصومون يحثون على الإفتاء :

الاخبار التي تشير الى رغبة المعصومين(عليهم السلام) وحثهم العلماء للتصدي لإفتاء الناس :

أ- ما ورد إن الإمام الصادق (**u**) يقول لأبان بن تغلب : ((اجلس في المسجد أو مسجد المدينة وافت الناس فاني احب إن يرى في شيعتي مثلك)) .

ب- ما ورد عن معاذ بن مسلم النحوي عن الإمام الصادق(**u**): انه قال: ((بلغني انك تقعد في الجامع فتفتي الناس)) .

قلت : نعم ، وأردت إن أسألك عن ذلك قبل إن اخرج ، اني اقعد في المسجد فيجيئني رجل فيسألني عن الشيء ، فإذا عرفته بالخلاف لكم أخبرته بما يفعلون ويجيئني رجل اعرفه بمودتكم وحبكم فاخبره بما جاء عنكم ويجيئني الرجل لا اعرفه ولا ادري منْ فأقول ، جاء عن فلان كذا ، وجاء عن فلان كذا ، فادخل قولكم فيما بين ذلك فقال(**u**): ((اصنع فاني كذا اصنع)) .

١٣ - السيرة العقلانية وطبيعة المجتمعات البشرية :

إن السيرة العقلانية بل سيرة المجتمعات البشرية حتى البدائية جرت على رجوع الجاهل الى العالم وذي الاختصاص ، فالمريض يرجع الى الطبيب للعلاج ، والذي يريد بناء دار يرجع الى المهندس

وهكذا ، ومنشأ هذه السيرة هو إن الإنسان بطبيعته جاهل بكل ما يحيطه من أمور وقضايا دينية أو اجتماعية أو علمية أو غيرها ويحتاج الى الكسب حتى يستقل بالمعرفة التفصيلية الكاملة بكل الاشياء ، لكن البديهي إن الفترة الزمنية مهما امتدت بالإنسان فهي لا تكفي لتلقي تلك المعلومات (إلا على نحو الاعجاز وهذه حالة نادرة لا تتهيأ لكل فرد) ، وعليه لا بد له من الرجوع الى العالم ليدلّه على الطريق الذي يسلكه ، فالمجتمع مهما كانت قيمته الحضارية وثقافته لا يستطيع إن ينهض أفراده بالاستقلال بالمعرفة التفصيلية بكل ما يتصل بحياتهم بل لابد إن يكون في كل مجتمع علماء وجهال ليرجع جهالهم الى علمائهم كل حسب اختصاصه .

والشارع المقدس لم يشذ عن هذه المسيرة والقاعدة والطبيعة الاجتماعية العامة بل أمضاها واقرها ، ولذلك لم يكلف كل إنسان بالاجتهاد والمعرفة التفصيلية لكل ما يمت الى شؤونهم الدينية بل جعله على بعض الناس فكان وجوب الاجتهاد على نحو الوجوب الكفائي .

فمبدأ الاجتهاد والتقليد هو التطبيق المناسب للطبيعة البشرية التي تقتضي توزيع الاعمال على هذه المجموعة من البشر ليكون في كل مكان من يقوم بدوره فيما تخصص من الحرف والصناعات ، وبهذا يحصل التكافل والتكامل في النظام الاجتماعي البشري فضلا عن تكامل الفرد وحفظه لان هذا التقليد هو الصحيح عقلا وشرعا حيث إن تقليد وتحميل المجتهد مسؤولية الرأي والحكم الذي أصدره واتبعه العامي ، هو باعتبار إن المجتهد من ذوي الاختصاص والمعرفة .

متى بدأ التقليد

مما تقدم يتضح إن التقليد نشأ في عصر المعصومين(عليهم السلام) ويدل عليه ما ذكرناه من الروايات التي تشير الى هذا النهج في إرجاء الناس العوام الى العلماء وأهل الإفتاء ، اضافة الى انعقاد السيرة العقلانية وثبوتها وثبوت إمضائها من المعصومين(عليهم السلام) وكذلك الكلام في السيرة المتشرعية ، اضافة الى كون هذا المبدأ والنهج هو قانون طبيعي اجتماعي ، والشيء البديهي إن هذا المبدأ ضروري في عصر الغيبة ولا نقاش في هذا ، اما الحاجة اليه في زمن المعصومين(عليهم السلام) فترجع الى عدة اسباب نذكر منها :

١- ظروف التقية اتي يعيشها الائمة(عليهم السلام) غالبا مما أدى الى عدم السماح وعدم قدرة معظم الناس من الاتصال بهم(عليهم السلام) ومعرفة الاحكام منهم مباشرة .

٢- وهذا السبب متفرع من السابق حيث يقال انه حتى الخواص من أصحاب المعصومين(عليهم السلام) لم يكن باستطاعتهم المواصلة والبقاء لفترات طويلة تكفي للحصول على ما يحتاجه من أجوبة وعلوم اخرى .

٣- سعة البلدان وتباعدهم وعدم وجود وسائل النقل السريعة وعدم وجود وسائط الطباعة الحديثة كما في الوقت الحاضر حيث تطبع الرسالة العملية فتكون بين يدي المكلف في كافة البلدان ، وكذلك عدم امكانية الاستفادة من وسائل الاستنساخ القديمة الموجودة في ذلك العصر كالاستعانة بعشرات أو

مئات الكتب للنسخ ، وذلك لظروف التقية التي يعيشها المعصوم(**u**) .

٤- أراد المعصوم اثبات هذا الحكم والسيرة في زمنه حتى يصعب إنكارها في عصر الغيبة ، ويقوّي من هذا الاحتمال انه بالرغم من تصدي المعصومين(عليهم السلام) للإرشاد والحث على هذه السيرة والمنهج نرى إن البعض قد أنكر مسالة التقليد لغير المعصومين ولو من الناحية النظرية كما فعل الاخباريون .

وهذه الاسباب وغيرها هي التي جعلت الائمة(عليهم السلام) في مقام بيان وإرشاد وحث على فتح باب الاجتهاد وتوجيه الناس العوام لمراجعة العلماء ، وقد وضعوا الكثير من الاصول والقواعد الكلية للتوصل بها الى الحكم الواقعي أو الى الحكم الظاهري ، وأعطوا الضابطة والشروط التي تنطبق على من يجوز تقليده من العلماء ، كما ورد عن الإمام العسكري(**u**): ((من كان من الفقهاء صائنا لنفسه حافظا لدينه مخالفا لهواه مطيعا لأمر مولاه فللعوام إن يقلدوه)) .

الاجتهاد والمرجعية

شروط مرجع التقليد :

إن المرجعية الدينية من أهم المناصب وارفعها في عـــصر الغيبـــة ولهذا المنصب أهمية وهيبة اجتماعية مرتكزة في أذهان المتشرعة وعليه لا بد إن يكون المتصدي لهذا المنصب قدوة حسنة مثالية عليا لبقية الافراد لكون المرجع الديني هو الأمين على تطبيق الاحكام ، ولهذا اشترط الفقهاء في مرجع التقليد عدة شروط منها :

١. البلوغ ، ٢. العقل ، ٣. الإيمان ، ٤. العدالة ، ٥. الـــذكورة ، ٦. طهارة المولد ، ٧. الاجتهاد المطلق ، ٨. الحياة ،٩. الأعلمية .

ولايـــــــــة الفقيه :

إذا توفرت في المجتهد الشروط الشرعية في مرجع التقليد الـــسابقة فانه يثبت له أربع صلاحيات ووظائف هي :

الاولى – الإفتاء:

فإذا ثبتت صلاحية الإفتاء عند مرجع التقليد ، جـــاز للمكلـــف إن يقلده ، فإذا رجع المكلف اليه وجب عليه الإفتاء في موارد المسائل الفرعية والموضوعات الاستنباطية وهذه الصلاحية مما لا شـــبهة فيها ويدل على هذا العديد من الادلة من القرآن والسنة وقد تقدمت الإشارة الى بعض تلك الموارد والأدلة سابقاً وخاصة فـــي فـــصل وجوب التقليد على العامي .

الثانية – ولاية القضاء:

في الخصومات التي تقع بين الناس إذا رفع المتخاصمان الدعوى الى المجتهد فعليه النظر في هذه الدعوى وسماع أقوال الاطراف وإصدار الحكم النهائي المطابق للشرع وهذه الولاية مما لا شبهة فيها وقد دلت العديد من الادلة على ذلك كما ذكرنا بعضها سابقاً .

الثالثة – ولاية رعاية شؤون القاصرين :

للفقيه ولاية رعاية شؤون القاصرين من أيتام ومجانين إذا لم يكن لهم ولي خاص وكذلك رعاية شؤون الاوقاف العامة إذا لم يكن لها متولٍ خاص بنص الوقف وهذا مما لا إشكال فيه .

الرابعة – الولاية العامة :

للفقيه صلاحية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويجب على الجميع أطاعته حتى لو استلزم ذلك التصرف بالأنفس والأموال ، لأنه في مقام تقديم المصالح العامة الدينية والاجتماعية على المصالح الشخصية ، وتفصيل الكلام تجده في الرسالة العملية (المنهاج الواضح) كتاب الاجتهاد والتقليد (ص ٦٥)

والحمد لله رب العالمين

******

اليك أخي القارئ الكريم مجموعة من الأسئلة التي وجّهت الى سماحة المرجع الديني الأعلى آية اللّه العظمى السيد الحسني (دام ظله الوارف) عن الاجتهاد والتقليد .

ونسأل اللّه أن يتقبل أعمالنا وأعمالكم انه سميع الدعاء .

س/ في أي من العلوم التالية يقال إن العالم الفلاني هو الأعلم: (الاصول ، الفقة ، علم الرجال) ، أم غيرها ؟

بسمه تعالى :

بعد إن نسلّم باجتهاد مجموعة من العلماء وصلاحية كل منهم للمرجعية الدينية فإننا نسلّم بعدالتهم وتقواهم وبذلهم كل ما في الوسع من اجل استنباط الحكم الشرعي ، فإذا تساووا في ذلك ، أو كان التفاوت ليس كبيرا ، فيكون التفاضل والترجيح للأعلم في علم الاصول لأنه أكثر ذكاءاً وأوسع ذهنا ، وأكفأ وأقدر وأكثر إلتفاتاً للنكات في عملية الاستنباط ، ومن تمكّن من الاصول أصبحت باقي العلوم تحت قدرته وهو متمكن منها بالفعل والقوة ، خاصة في العلوم التي لها مدخلية في عملية الاستنباط ، وحينئذ يقال إن الأعلم هو الأعلم بالأصول ، فإذا قلنا إن الأعلم هو الأعلم بالفقه فالمفروض أن هذا الكلام يكشف أن هذا العالم أعلم بالأصول وإلا لما أصبح الأعلم بالفقه . وعليه فمن قال أن الأعلم هو الأعلم بالفقه وكان يقصد الفصل والتفريق بين الفقه والأصول وأن الأعلم بالاصول لا مدخلية له في الأعلمية لمرجع التقليد ، فأن مثل هذه الدعوى تكشف أن مدعيها ليس بأعلم في علم الأصول

وهذا بدوره يكشف عدم أعلميته في الفقه لما بيناه أعلاه من مدخلية الاصول والأعلمية في الأصول في عملية الاستنباط .

وكنا عندما نسأل عن الفقه ، نجيب بأنه كالورقة في اليد نقلبها ونطويها كيفما نشاء ، ومن ثم أخبرنا البعض بأنه نقل عن بعض السادة (رحمه الله) عندما كان يسأل عن الفقه ، يجيب بأنه (كالعجينة) في يدي .

س / إني أحد مقلدي السيد المفدى محمد الصدر(قدس سره) في حياته وقد أعتمدت في تقليدي على الشياع المفيد للاطمئنان وشهادة أهل الخبرة والفضلاء وبعد وفاته(رحمة الله عليه) تداخل علينا الأمر بعض الشيء قبل أن يتصدى سماحتكم للساحة العلمية فما الحكم الذي علينا أتباعه الآن في مسألة التقليد ؟

بسمه تعالى :

يجب على المكلف الفحص والبحث عن الأعلم في كل مجال يمكن ان يوصّله الى ذلك ويجب عليه الاحتياط في أعماله مدة الفحص ولمعرفة الأعلم توجد عدة طرق منها .

الطريق الأول: شهادة (عدلين) من المجتهدين أو الأفاضل القادرين على التقييم العلمي (لا التقييم المالي والمادي الناشئ من التعصب وحب الدنيا) .

الطريق الثاني : العلم الحاصل من الخبرة والممارسة الشخصية للمقلَد إذا كان له من العلم والعقل ما يتيح له ذلك .

الطريق الثالث: بعد تعذر حصول العلم بالطريقين الأوليين ، فيتمسك بكل طريق يؤدي الى الاطمئنان بالأعلم ، من قبيل

الشياع بين أهل العلم والفضل أو في صفوف الأمة ، أو الأطمئنان ، الحاصل من الخبرة والممارسة الشخصية أو أي طريق يؤدي الى الأطمئنان ، ومن الواضح أن الشياع الحاصل من عمل وإعلام المؤسسات كالشياع الحاصل لمرشحي الانتخابات في الدول الغربية ، لا يولد اطمئناناً ما لم يقترن بطريق وأثر ونتاج عملي .

س/ ما هي الحجة الشرعية لنا أمام الله سبحانه وتعالى للعدول من تقليد بقية العلماء الى تقليد سماحتكم ؟ ولعدم إكمال رسالتكم العملية لحد الآن ، بماذا تنصحوننا لكي يكون تقليدنا لسماحتكم مجزئ إنشاء الله ؟

بسمه تعالى :

إذا حصل العلم أو الأطمئنان من مقدمات صحيحة ، فعليكم العمل على طبقه .

س/ برأيكم لمن تعتقدون الأعلمية ؟ أي من الذي يجب أن يقلده المسلمون في الوقت الحاضر ؟

بسمه تعالى :

الله ورسوله أعلم ، ويجب على المكلف الفحص عن الأعلم في كل مجال يمكن أن يوصله الى ذلك ، سواء حصل العلم ، أم الأطمئنان من ذلك الفحص . فيكون عمله أو أطمئنانه حجة عليه .

س/ ما هو رأي سماحتكم في عمل من بقي على تقليد أحد المجتهدين الأموات(قدس سرهم) بدون الرجوع الى اعلم الأحياء ، بل الرجوع إلى الفضلاء من غير المجتهدين أو

غير الفضلاء من الطلبة أو بقرار شخصي ناشئ عن العاطفة مثلاً .

بسمه تعالى :

العمل طبق فتاوى المجتهد مرجع التقليد السابق المتوفى(أو البقاء على تقليد الميت) ، بدون الرجوع الى اعلم الأحياء كالعمل بدون تقليد .

س/هل يجوز لي التبعيض في التقليد في المسائل الفقهية بعد موت المجتهد الذي كنت أقلده ؟

بسمه تعالى :

إذا كان التبعيض بأذن أعلم الأحياء جاز لك العمل بذلك .

س/ إذا لم يستطيع المكلف أن يعمل على فتوى مقلده فماذا يعمل بالنسبة للمسائل المستحدثة ؟

بسمه تعالى :

إذا كان المجتهد الأعلم قد اذن لك بالعمل طبق فتاوى المجتهد الميت ، فأن المسائل المستحدثة يجب الرجوع بها الى نفس المجتهد الأعلم الحي ، وفي الواقع والظاهر ايضاً إن المجتهد الأعلم الحي هو مرجع تقليدك وليس الميت ، والذي له الولاية عليك ويجب عليك طاعته هو المجتهد الأعلم الحي .

س/العمل بالاحتياط هل هو العمل بأحوط أقوال المجتهدين مطلقاً الأحياء والأموات الأعلم وغيرهم أو العمل بأحوط أقوال الأحياء فقط ؟ أو الأحياء الأعلم ؟

بسمه تعالى :

العمل بالاحتياط هو أن يأتي المكلف بكل شيء يحتمل فيه الوجوب ولا يحتمل تحريمه مطلقاً ، وأن يترك كل شيء يحتمل فيه التحريم ولا يحتمل فيه الوجوب مطلقاً ، وعليه فأن فتوى المجتهد تولد الاحتمال في الحكم سواء كان المجتهد حياً أو ميتاً ، وسواء أكان الأعلم أم لا ، فإذا كان الحكم بالوجوب فعليك إن تعمل بأحوط الأقوال إن وجد أو تعمل لكل الأقوال سواء للأحياء أم الأموات أم للأعلم أم لغيره ، ونفس الكلام بالتحريم .

س/ هل ولاية الفقيه من الضروريات المذهبية وهل هي مجال إنشاء أحكام جديدة ، أولا ؟

بسمه تعالى :

نعتقد إن ولاية الفقيه بحكم الضروريات المذهبية ، وقلنا بحكم الضروريات حفاظا على مكانة وهيبة المجتهد الذي لا يقول بولاية الفقيه وعلى الجميع احترام رأيه ورأي من يرجع اليه في التقليد ، اضافة لذلك فإننا لا نريد أن نعطي مسوغا للطعن والتجريح بالآخرين ممن لا يقول بالولاية ووصفه بأنه ترك أحد ضروريات المذهب وأنه كذا ويستحق كذا .

س/ هل يحكم ببطلان من قلد غير الأعلم مع احتمال توفر بعض الشرائط المعتبرة في التقليد في الشخص الأعلم ؟

بسمه تعالى :

في فرض السؤال حيث نذكر الاحتمال ، فيحكم ببطلان تقليد غير الأعلم .

س / هل يجوز للمكلف الانتقال كلياً من الأعلم المتوفى إلى الأعلم الحي ؟

بسمه تعالى :

يجب على المكلف تقليد الأعلم الحي ولا يجوز لـــه البقـــاء على تقـــليد الـــميت ، نعم إذا أذن الأعلم الحي بالعمل طبق فتاوى الميت جميعها أو بعضها جاز للمكلف ذلك ، ولكـــن هذا ليس تقليداً للميت بل هو تقليد للحي والعمل بإذنه .

س/البقاء على تقليد المتوفى في المسائل التي عمل بها في حياتـــه وتقليد الحي في المسائل الأخرى هل جائز أم لا ؟

بسمه تعالى :

لا يجوز تقليد الميت أبتداءاً ولا يجوز تقليده بقـــاءاً ، بـــل يجب على المكلف تقليد الأعلم الحي ، ونحن نجيز للمكلف العمل طبق فتاوى السيد(قدس سره) ، ولا نجيز لأي مكلف الرجوع الى غيرنا بالوكالات والمأذونيات والأمور الحسبية والزكاة وغيرهما .

س/ هل يجب تقليد الأعلم وكيف نميز الأعلم من غير الأعلم ؟

بسمه تعالى :

لكل عالم آثار تدل على علمه وقد سلكنا نفس الطريق الذي سلكه السيد الصدر(قدس سره) بطـــرح الـــدليل المبـــسط والواضح الذي يفهمه عموم المكلفين ممن يملـــك الثقافـــة العلمية والفقهية ، وتفصيل الكلام تجده في إحدى الرسائل الاستفتائية المطبوعة .

س/في نظركم هل تقليد غير سماحتكم مبرئ للذمة أمام الله وأمـــام نفس المقلد ؟

بسمه تعالى :

نحن نعتقد ان الدليل الذي طرحناه الى الساحة واضح جـــداً ومبسط ويفهمه الجاهل فضلا عن العالم ، وما بعد الحق إلا الضلال ، فلا إبراء للذمة مع سلوك طريق الباطل .

س/ إذا قلد مجتهداً لا يجوّز البقاء على تقليد الميت ، وكـــان مـــن تعين العدول له ، يجوّز البقاء على تقليد الميت ، ماذا يفعل في هذه المسألة ؟

بسمه تعالى :

يجب عليك العمل طبق فتاوى المجتهد الأعلم الحي .

س/ رجل يقلد احد المراجع وعندما تحصل له مسألة مـــستحدثة لا يستطيع الذهاب له (لبراني ذلك المرجع) علماً ان الـــذهاب إهانة لكرامة ذلك المكلف من قبل العاملين هناك أيعدل الى غيره أو يعدل بخصوص تلك المسألة ؟

بسمه تعالى :

إذا تمكنت من الاحتياط في هذه المـــسألة ، وجـــب عليـــك الاحتياط .

وإذا لم تتمكن من ذلك ، فعليك ان تعمل وفـــق علمـــك أو اطمئنانك حتى لو حصل لك من الرجوع إلى مجتهد آخر في هذه المسألة ولكن عليك بعد ذلك أن تعلـــم مـــا هـــو رأي مرجعك فإذا كان مطابقاً لفتواه ، فعملك صحيح ولا شـــيء

عليك أما إذا كان مخلفاً فعليك معرفة رأيه في هذه الحالـــة لأنه يعتمد على موارد الاختلاف .

س/ هناك مرجع لم تثبت أعلميته ، وهنـــاك مرجعاً ثبتت أعلميته لكن مطعون في عدالته ، وكلاهما متوفرة الشروط الباقيـــة فمن يقـــدم في التقليد ؟

بسمه تعالى :

عليك الرجوع الى المجتهد الجامع للشرائط ، نعم لو فرضنا الأمر محصور بين الأثـــنين ، فعليك الرجوع الى الأعلم في المسائل الشرعية ويستثنى من ذلك بعض المـــسائل التـــي يكون للعدالة دخل في تحققها .

س/ هناك إنسان يقلد احد المرجع وتبين له بعـــد استـــشهاد الـــسيد الصدر(قدس سره) بأن السيد الصدر هو الأعلم ثم قلد الأعلم الميت وهو السيد الشهيد الصدر بمعنى أنه عدل من الحـــي الى الميت ، هل يجوز له العدول أو هل تقليـــده جـــائز أو مشكل ؟

بسمه تعالى :

لا يجوز له ذلك بدون الرجوع الى المجتهد الأعلم الحي إذا أذن له بذلك ، أما نحن فلا نجيز تقليد الميت ، نعم العمـــل طبق فتاوى الميت جميعها أو بعضها يحتـــــاج الـــى إذن خاص .

س/ هل تجب طاعة الولي الفقيه من قبل مكلفين لا يقلدونـــه ومـــا الدليل على ذلك ؟

بسمه تعالى :

إذا كان الولي الفقيه الأعلم المبسوط اليد ، ففي بعض الأحكام التي يصدرها على نحو الحكم والأمر ويجب على جميع المكلفين طاعته ويستفاد من ذلك إطلاقات بعض الروايات التي استفدنا من ولاية الفقيه على نحو الدليل أو المؤيد .

س/إذا كان عمل المكلف مطابقاً لفتاوى علماء عصره كلهم أو جلهم فهل يصح منه بغير التقليد ؟

بسمه تعالى :

إذا حصل مثل هذا الفرض في الوقع في بعض المسائل فان هذا لا ينفي وجوب التقليد عليه في المسائل الأخرى .

س/ ما هي ضرورة الاجتهاد للدين والمذهب والمجتمع ؟

بسمه تعالى :

الثابت شرعاً وجوب التفقه بالدين على نحو الكفاية وإذا أنحصر الأمر بشخص أو بأشخاص معيّنين أصبح الواجب عينياً وقد ذكرنا في كتاب الاجتهاد والتقليد ، المنهاج الواضح ، أن التقليد بالدين والوصول الى الاجتهاد على بعض الناس يكون واجباً ضرورياً بالشرع والعقل والسيرة العقلائية والفطرة الإنسانية ويحصل صيانة الفرد والمجتمع وتكاملهما للحصول والوصول الى الأمان والسعادة في الدنيا والآخرة .

س/ متى بدأت حركة المرجعية ونشئت فكرة التقليد بالمعنى المتداول حالياً ؟

بسمه تعالى :

الاجتهاد والتقليد من المبادئ الفطرية والعقلية والعقلانية الشرعية ، فهي ظاهرة قديمة بصورتها العامة ، والإسلام المقدس أقرها ووضع لها ضوابط معينة ، ولمزيد من التفصيل راجع ما ذكرناه في كتاب الاجتهاد والتقليد المنهاج الواضح .

س/ هل مناط المرجعية الأموال أم الشروط التسعة أو أصبح المال شرطاً من تلك الشروط في هذا الزمان ؟ علماً بأني أجريت استقراء فوجدته هو الشرط المعتبر عند البعض .

بسمه تعالى :

هذه دنيا آل مروان وهؤلاء عبدة الدينار والدرهم .

س/ هل يجوز سماحتكم التبعيض لمقلديكم أو مقلدي السيد الشهيد ؟

بسمه تعالى :

لا يجوز ذلك .

س/ هل طرحتم مسألة المناظرة على عدد من المجتهدين ؟ وما كان ردهم ؟

بسمه تعالى :

نعم ، كان الرفض كما هو الحال السابق مع دعوى السيد الصدر(قدس سره) .

س/ ما معنى (اليد المبسوطة للفقيه) حسب رأيكم ؟

بسمه تعالى :

في هذا المقام أقول ، انه من المفروض تحقق بسط اليد للفقيه مرجع التقليد فعلى كل مكلف إطاعة الأمر وإمتثال الفتوى الصادرة من مرجع التقليد الذي شخّص المصلحة العامة فأصدر الفتوى المناسبة وبعبارة اخرى ، ان بسط اليد للفقيه في هذا المقام لا تحتاج الى سلطة تنفيذية والتصدي لها فلا يعترض عليه بمثل هذا ولا يطلب منه التصدي لذلك ، فهو اعرف بالمصلحة العليا واعلم باتخاذ الموقف المناسب .

س/ إذا كان الفقيه يرى أعلمية نفسه فهل (يجب ، يستحب ، يكره) له التصريح بذلك ؟

بسمه تعالى :

يختلف الحكم باختلاف الظروف الخاصة والعامة ، فمثلاً إذا وجدت شبه تجتاح المجتمع واحتاج العالم الى اثبات انه الأعلم لكي يكون كلامه حجة لدحض تلك الشبه الخطيرة ، وجب عليه التصريح بذلك وإثباته بالدليل العلمي .

س/ ما رأي سماحتكم بالمرجعية المؤسساتية ؟

بسمه تعالى :

من سلك هذا الطريق وحصل على ذلك العنوان عن طريق المؤسسات ولم يكن واقعاً مستحقاً لذلك فعليه وعلى تلك المؤسسة لعنة الله وأنبيائه ورسله وملائكته والناس

أجـــمعين وعليهم لعنة العلم والأخلاق والتاريخ الى يـــوم الدين .

ولعزل مثل هؤلاء وكشفهم علينا بإتبـــاع الآثـــار العلميـــة والشرعية للعالم وللفقيه وعلينا ان نبتعد عـــن العواطـــف التي تقودنا الى الجهل والضلال ، بل علينا اتبـــاع العقـــل والشرع والأخلاق .

طبع بموافقة المركز الإعلامي لمكتب
سماحة المرجع الديني الأعلى آية الله العظمى
السيـد الصرخي الحســني (دام ظله)
WWW.ALHASANY.NET
WWW.AL-HASANY.COM
E-MAIL:ALHASANIMAHMOOD@YAHOO.COM

محفوظة جميع الحقوق